

## تنصيب الأمة واسترداد التاريخ قراءة في كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" لـ"أبو القاسم سعد الله"

*textualization of the nation and the recovery of history, read in a book  
"The Cultural History of Algeria by Abu Al-Qasim Saad Allah "*

د.خضور وليد <sup>1/</sup> المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة / مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة  
ومناهجها جامعة بسكرة (الجزائر)/w.khoudour@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 31 / 12 / 2023

تاريخ القبول: 10 / 12 / 2022

تاريخ الاستلام: 01 / 10 / 2022

### ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية محاورة بعض الأفكار. واخللة عدد من المفاهيم، وإزعاج وتثوير جملة من الأنساق الساكنة التي استحوطت قنوات للتنشئة الاجتماعية مرت عبرها تشوهات معرفية وثقافية كثيرة عبر عنها منذ فترة الرئيس الفرنسي "ماكرون"-في إنكاره وجود أمة جزائرية قبل الاحتلال الفرنسي- وتسلمت بوصفها قناعة راسخة في دوائر سياسية ومعرفية وعند كثير من المثقفين وصناع القرار وهنا نتحسس خطورة الأمر، وربما انطلاقا من عنوان هذه الورقة البحثية يبدأ تفكيك و مراجعة هذه التشوهات الثقافية والمعرفية التي يواجهها تاريخ الأمة الجزائرية في مرحلته ما بعد الكولونيالية  
الكلمات المفتاحية: الكولونيالية/ الأمة/التاريخ الثقافي/ الجزائر

### **Abstract:**

*This article seeks to discuss some ideas and analyze several stereotyped concepts, which have become central concepts that cannot be discussed, including what was expressed by French President "Macron" in his denial of the existence of an Algerian nation before the French colonization of Algeria, presenting an idea promoted by the French imperial culture in its attempt to impose domination over the ancient colonies.*

**Keywords:** Colonialism / Nation/ cultural history/Algeria.

المؤلف المرسل: د. وليد خضور: w.khoudour@centre-univ-mila.dz

## مقدمة:

تحاول هذه الورقة البحثية محاورة بعض الأفكار، واخلخله عدد من المفاهيم، وإزعاج وتثوير جملة من الأنساق الساكنة التي استحاللت قنوات للتنشئة الاجتماعية مرت عبرها تشوهات معرفية وثقافية كثيرة عبر عنها منذ فترة الرئيس الفرنسي "ماكرون" في انكاره وجود أمة جزائرية قبل الاحتلال الفرنسي- وتسلمت بوصفها قناعة راسخة في دوائر سياسية ومعرفية وعند كثير من المثقفين وصناع القرار وهنا نتحسس خطورة الأمر، وربما انطلاقا من عنوان هذه الورقة البحثية يبدأ تفكيك و مراجعة هذه التشوهات الثقافية والمعرفية التي يواجهها تاريخ الأمة الجزائرية في مرحلته ما بعد الكولونيالية، فمفهوم الاسترداد يستدعي وجود الشيء/الأمة وإن وقع أخذه/احتلالها وبذلك يكون الاسترداد لما كان موجودا؛ وهذا حال الأمة الجزائرية التي يشير وجودها إلى مراحل ضاربة في أعماق التاريخ، وكذا مفهوم الدولة الجزائرية في شكلها المقارب للرسمي الحالي كانت موجودة منذ القرن 16م أي قبل قرون ثلاث من الاحتلال الفرنسي.

و هنا يطرح سؤال، هل حقا غابت الأمة؟ أو غابت نصوصية الأمة؟ ثم كيف يمكن استرداد تاريخ الأمة؟ هل يمكن القول أن تقويض الخطاب الكولونيالي وإحلال الثقافة الوطنية لا يمر إلا عبر ترسيخ وبناء المرجعية الثقافية الجزائرية التي سُلطت عليها صنوف من معاول الهدم والردم والتشويه؟

وعليه جاءت هذه الورقة لتناقش عددا من التصورات التي تقارب خطاب الأمة والتاريخ والثقافة وتحديات مرحلة ما بعد الكولونيالية من خلال الاستئناس بكتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" لشيخ المؤرخين الجزائريين "أبو القاسم سعد الله" لما يؤسس له هذا الكتاب من مرجعية تاريخية ثقافية، تقدم رؤية واضحة ومتكاملة للثقافة الجزائرية بداية من الوجود العثماني في الجزائر.

### 1. الأمة والتاريخ ومقولات ما بعد الكولونيالية:

طرحت الدراسات ما بعد الكولونيالية فهمها الخاص لعدد من القضايا و المفاهيم والمصطلحات التي انتجتها العلاقات الطارئة والمتشعبة بين المستعمر والمستعمِر، وأضحت لهذه المفاهيم و المصطلحات أبعاد معرفية جديدة أكسبتها ليونة وظيفية و طاقة دلالية كبيرة مثل مفاهيم الثقافة، الأمة، التاريخ، المقاومة وغيرها وبالنظر إلى أن مفهوم الأمة يندرج في صميم هذه الورقة فإنه يتعين علينا مناقشة بعض محدداته الخاصة .

نجد في التراث العربي تداخلا بين مفهوم الأمة والملة والعصبية، ف"الفراي" وإن كان يقارب بين الأمة والملة إلا أنه يربط الأمة بالأبعاد المجتمعية والمدنية وكذلك "ابن خلدون" أشار لعلاقة الأمة بالوطن لكنها كمصطلح مركزي غابت عنده قياسا بمصطلحات العصبية والدولة والعمران<sup>1</sup>، ونجد عند الباحثين والمفكرين العرب المعاصرين تصورات متعددة حول مفهوم الأمة تعكس جميعها توجهات أصحابها الأيديولوجية نظرا لقرب هذا المصطلح من مجال التداول السياسي والأيديولوجي، يجمل "ناصيف نصار" هذه التصورات في أربع هي<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> نبيل فازیو، مفهوم الأمة عند ناصيف نصار، مجلة المستقبل العربي، ع450، 2016، ص138.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص136.

- التصورات الدينية.
- التصورات اللغوية.
- التصورات الاقليمية.
- التصورات السياسية.

لا يفوتني في هذا المقام أن أذكر بقوة ونضج التصور الذي يقدمه أحد أقطاب "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" حين يفرق بين مفهوم الدولة والأمة ويعتبر أنه يمكن تحضر الأمة وتغيب الدولة<sup>3</sup> في حال الاستعمار الذي يسلب الدولة وجودها الفعلي والقانوني لكنه يعجز عن سلب البعد الحضاري والتاريخي للأمة؛ هذا البعد الذي هو جذوة التحرر والانفكاك من نير الاستعمار وهذا حال الأمة الجزائرية.

نجد في هذا التصور الذي يقدمه الشيخ "ابن باديس" تفريقا ذكيا بين مفهوم الدولة والأمة يتوافق تماما مع السياق الحرج الذي مرت به الأمة الجزائرية في ظل نظام فصل عنصري فرنسي حاول بعد تدمير الدولة أن يقتلع محددات الأمة الجزائرية من جذورها، فكانت قناعة الشيخ وعلماء الجزائر ترى في الحفاظ على روح الأمة بصيغا للتحرر والثورة على نظام الأبارتايد الفرنسي في الجزائر.

وبالانتقال إلى مفهوم آخر يطرح رواد نظريات ما بعد الكولونيالية تصوراتهم حول وجهة نظر المستعمر وقدرته على انتاج معرفة أصيلة تستجيب لتطلعاته وتتوافق مع سياقات التأسيسية لمرحلة ما بعد الاستعمار، كيف يتخلص من تبعيته المعرفية والثقافية ومن آثار الهيمنة في الفكر والسلوك، إذ تناقش "أنيا لومبا" "مصير صوت المستعمر الخافت في التاريخ وتقدم أسئلة هامة تخص روافد المعرفة ومحاذيرها عند المستعمر حيث تقول: "بأي صوت يتحدث المستعمرون بأصواتهم أم بلهجات مستعارة من أسلافهم؟ هل يخدم مشروع استعادة "التابع" بصورة مثلى عن طريق تحديد انفصاله عن الثقافة المسيطرة أم بالتركيز على الحد الذي صاغ به تلك العمليات والثقافات التي أخضعته"<sup>4</sup> هنا تستعيد "لومبا" تصورات عدد من المنظرين الذين تحدثوا عن مدى قدرة المستعمر في الخروج من شرقة المستعمر خاصة في كتابة تاريخه الخاص والصافي من لؤة الهيمنة وفخاها المعرفية التي تحاول الإبقاء عليه خاضعا على مستوى المعرفة والمخيال، فيكتب تاريخه من منظور السيد/"عقدة الخواجة" وفي خدمة مشروعه واهما بأنه يكتب تاريخه الخاص، هنا يطرح المنظرين فكرة التاريخ من الأسفل<sup>5</sup>، بحيث تكون وجهة نظر المستعمر هي الهيمنة نتيجة لتغيير تجاه كتابة التاريخ والبحث عن مساحة خارج سيطرة المستعمر، كل هذا عبرت عنه "سبايفاك" في مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلم" حيث تناقش فكرة "الادعاء السهل في أن مؤرخ ما بعد الاستعمار يمكنه استرداد

<sup>3</sup> رايح لوئيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2007، ص335.

<sup>4</sup> أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سورية، ط1، 2007، ص231.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص231.

وجهة نظر التابع<sup>6</sup> ذلك أن هذا المؤرخ يشتغل في أرضية هشة لا صلابة فيها وربما هي أشبه بالرمال المتحركة، فهو يستخدم أدوات منهجية ليست من إنتاجه، ويعالج مادة تاريخية وأرشيف وضعه المستعمر، هذا ما جعل "سبايفاك" تحذر مما "تدعوه الشوق للأصول الضائعة، أو الادعاء بأن الثقافات المحلية تركت سليمة خلال حكم الاستعمار وهي الآن سهلة الاسترداد"<sup>7</sup>.

في حقيقة الأمر نحن أمام حقل معرفي ملغم يشتغل فيه مؤرخو ما بعد الكولونيالية، إذ أن تفكيك الأنغام المعرفية وتقديم النصوص التاريخية للثقافة الوطنية يمر عبر تضحيات وجهود ويتطلب رؤية استشرافية وذكاء وأرضية معرفية صلبة، فالمؤرخ داخل هذه السياقات الحرجة محاصر بأصوات خافتة وبلهجات ولغات مستعارة وبمشاريع متعددة وتساؤلات كثيرة، هل استرداد التاريخ هو انتاج لنصوص تاريخية وطنية كبرى؟ أو هو اتاحة الفرصة لتلك الأصوات الخافتة في التاريخ للكلام أو ما يسمى بكتابة التاريخ من الأسفل بمعنى آخر، هل استرداد الذات التابعة في التاريخ الاستعماري يكون من منظور تشكيل وبناء مركزية تاريخية وطنية؟ أو من خلال افساح المجال لهذه الأصوات الخافتة والهامشية أن تقدم تاريخها الخاص؟ ثم عن أي تاريخ نتحدث؟ وما هي الواجهة التاريخية المناسبة لترميم الهوية الوطنية في مرحلة ما بعد الكولونيالية؟ بتصور آخر؛ التاريخ تخصصات وفروع مختلفة منها السياسي والاقتصادي وغيرها، لكن ما هو التوجه التاريخي الأقرب لتمثيل روح الأمة وإعادة بعثها من جديد؟ ها هنا لا بد من الحديث عن التاريخ الثقافي بوصفه التوجه التاريخي الأقرب لتقويض الهيمنة الكولونيالية.

## 2. التاريخ الثقافي في مواجهة الخطاب الكولونيالي:

عادة ما نراهن في المراحل السياسية والتاريخية الحرجة على المقاربة الثقافية التي تمتلك القدرة والحسم في تمثيل الأمة بما يتناغم مع خصوصياتها ويتوافق مع مشاريعها، كون هذه المقاربة تختزن داخلها روح الأمة في محاورها الكبرى ومرجعياتها الحضارية، فحينما يعجز التاريخ السياسي والاقتصادي والجغرافي على تقديم الحلول وإيجاد الأرضية المشتركة، وتوحيد القوي والآراء، يكون الرهان الثقافي هو ريان النجاة وجذوة التحرر، فالثقافة بما "هي كل سلوك اجتماعي قائم على الرمز"<sup>8</sup> قادرة على تقديم الأرضية التشاركية الملائمة وخلق التناغم الاجتماعي ولذلك يصفها "بارسونز" في وظيفيته بأنها نمط للتماسك<sup>9</sup> و أنها نسق الأنساق في نظرية الفعل و النسق الاجتماعي، الذي تشتغل داخله ميكانزمات البناء والهدم، وعبره تمر التشوهات والعيوب النسقية وتتحدد به وجهة النسق الاجتماعي ونسق الشخصية وحتى النسق البيئي.

وبالنظر إلى هذه الأهمية الكبيرة للثقافة في المراحل الحرجة من تاريخ الأمم، يمكننا النظر في المشروع التاريخي المتميز لشيخ المؤرخين الجزائريين "أبو القاسم سعد الله"-رحمه الله-من خلال كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" على أنه مشروع ثقافي يمتلك الوعي بالسياق ما بعد الكولونيالي ويدرك جيدا الحاجة لكتابة التاريخ

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 233.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص 234.

<sup>8</sup> محمد عبد المعبود مرسي، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، درا سحر مصر، ط 1، (دس)، ص 92.

<sup>9</sup> محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدلاوي، الأردن، ط 1، 2007، ص 188.

الثقافي للأمة الجزائرية، إذ يمكن تصنيفه ضمن نصوص المقاومة وتقويض الخطاب الإمبريالي، كونه سعى إلى استرداد مفهوم الأمة الذي هو نسق ثقافي كلي وإعادة تشكيله وفق ما يخدم الثقافة والدولة الوطنية.

إن هذا الوصف لكتاب تاريخ الجزائر الثقافي بأنه خطاب مضاد لا يتزع عنه صرامته الأكاديمية، ومنهجيته التاريخية القوية والتزامه المعرفي والمنهجي، ويضعه في خانة الرد الانفعالي والنصوص النضالية، بل هو من باب التأكيد على الوعي بالمسألة الثقافية عند الشيخ وإبراز مدى قناعته بأن الصراع بعد تحرير الأرض يكون على مستوى الثقافة والمخيل، وكذا رؤيته العميقة لمفهوم الأمة المستمد من علماء الجزائر الذي يرى بأن غياب الكيان السياسي وانعدام الحالة القانونية للدولة لا يعنى بأي حال من الأحوال غياب وزوال الأمة بوصفها كيانا ثقافيا وحضاريا راسخا في التاريخ لها تراثها وروحها وديمومتها، فأبو القاسم سعد الله في أحد حواراته يؤكد على أن هذه الفكرة من أهم القضايا التي طرحها في كتابه يقول: "لقد رأى الباحثون في تاريخ الشعوب والأمم أن الثقافة هي علامة الحياة لأي شعب وأمة، فقد تختفي الأمة سياسيا بتغلب القوي عليها ولكنها لن تختفي إذا ما كان لها تراث ثقافي يمثل روحها وديمومتها، وذلك ما أردت أن أثيره في كتابي، فالجزائر برغم الاستعمار الذي أزالها من الوجود قانونيا، ظلت محافظة على شخصيتها وكيانها وروحها ممثلة في إنتاج علمائها وفقهاءها وشعرائها وفنانيها ومتصوفها، وهو ما لم تستطع قوة الاحتلال أن تلتغيه"<sup>10</sup>. لقد تجسدت هذه الفكرة كثيرا في أعمال ونصوص النخب الجزائرية في مرحلة الاحتلال بكل توجهاتها وراهنات على ترسيخ صورة الأمة في التاريخ وحمايتها من التشويه والتحريف والإزالة، فكان هذا الرهان تعبيرا عن أفق إنساني وتغييري قادم أنجزته الثورة الجزائرية التي توصف بأنها زلزال حضاري ومحطة تاريخية كبرى في التاريخ الانساني.

يقول الشيخ في مقدمة الطبعة الأولى للكتاب "لهذا الكتاب رسالة واضحة فنحن إلى الآن لا نملك تاريخا لثقافتنا يحدد معالمها ويكشف عن قيمها ويضبط علاقاتنا بها، وقد كانت هذه الثقافة عربية اسلامية اشترك فيها الجزائريون من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وهي ثقافة مها قيل أنها متقدمة أو منحلة هي نحن في ماضينا وهي التي نستمد منها اليوم ذاتنا وحقيقتنا، فالجزائري يجب أن يعترف بهذه الثقافة والانتساب إليها، لأن الشعوب التي ليس لها ثقافة ليس لها وجود، ولا يهم بعد ذلك أن يقال أننا كنا سياسيا مستقلين أو مستعمرين ما دام وجودنا الثقافي ثابت لا يتزعزع وهذه إحدى نقاط رسالة الكتاب"<sup>11</sup>. هذا النص يجسد مدى وعي أبو القاسم سعد الله بمسألة الثقافة وقدرتها على تحرير الشعوب من خلال المحافظة على روح الأمة تسرى في عروق أبنائها مسرى الدماء، وهذا ما يمكن تسميته بتنصيب الأمة ثقافيا عبر المحافظة على إرث علمائها وكتابات شعرائها ومثقفها هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتحقق الرد وتقويض الخطاب الكولونيالي عند أبو القاسم سعد الله في هذا الكتاب بدحضه للفكرة التي طالما روج لها الخطاب الكولونيالي بأنه لم يكن لأهل الجزائر ماض سياسي أو ثقافي وبأن هذا الوطن هو جغرافيا للفرغ والصراع عبر التاريخ، هذا التشويه المعرفي والخطاب الإمبريالي وجد أتباع له في الجهة الداخلية، طالهم التشويه الثقافي، ووقع تدجينهم سياسيا وتحيدهم معرفيا داخل المدرسة الفرنسية بعزلهم لغويا وقطعهم ثقافيا عن

<sup>10</sup> مراد وزناجي، حديث صريح مع د.أ. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، دار حبر للنشر، الجزائر، ط3،

2007، ص122.

<sup>11</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1998، ص25.

تراثهم وماضهم الذي أصبحوا عاجزين عن قرائته، وتقديمه كما ينبغي له أن يقدم، وهنا يصبح التأسيس لجزائرية الثقافة في هذا الكتاب حاجة تاريخية ملحة ومركزية في بناء الدولة الوطنية.

يجعل أبو القاسم سعد الله من اللحظة العثمانية منطلقا له في تقديم التاريخ الثقافي للجزائر، وهذا في تقديري الخاص خيار استراتيجي عنده، فهو مؤمن بصفاء وأصالة وجزائرية التاريخ الثقافي في المرحلة العثمانية، وهذا ما حداه للانطلاق من هذه المرحلة كون العثمانيين كما يرى "شيخ المؤرخين" ينطبق عليهم القول (فاقد الشيء لا يعطيه) فقد كانوا في الجزائر-كما في بقية الولايات العربية- وغيرها يتبعون نفس السياسة، وهي عدم التدخل في الشؤون التعليمية والثقافية، وهذه سياسة إسلامية متوارثة، ومن أراد من الخلفاء والأمراء المسلمين المساهمة في ميدان العلم والثقافة فإنه يفعل بمبادرة شخصية، فهو يقرب إليه العلماء وأهل العلم، وهو يمنح الشعراء والكتاب وهو يبني المراصد الفلكية وبيت الحكمة والمستشفيات وغير ذلك من المؤسسات بطريقة شخصية<sup>12</sup>.

بالنظر في هذا النص يمكن القول بوجود مفارقة نتجت عن هذه السياسة العثمانية في الجزائر ترتب عليها أثر سلبي في خفوت الفعل الثقافي في تلك المرحلة وأخر إيجابي تمثل في صفاء الفعل الثقافي وأصالته لأن السلطة العثمانية لم تتدخل فيه ومن ثم لم نجد أثار الثقافة العثمانية في النصوص الجزائرية في تلك المرحلة إلا في بعض الممارسات التي لا ترقى إلى صوغ الثقافة الجزائرية عثمانيا، فالخلافة كمؤسسة لم ترعى الفعل الثقافي مما أوجد نقاء وحضورا متفردا للشخصية الثقافية الجزائرية في تلك المرحلة، وعليه فإن الانطلاق من تلك المرحلة في تأسيس للثقافة الجزائرية يجنمها كثيرا دعوات اللجنة وغياب الشخصية الثقافية الجزائرية؛ طبعا على أن الامتزاج والانفتاح حاجة ثقافية ملحة تمد الثقافات بأسباب البقاء ولكن ليس في مرحلة التأسيس التي نحن بصدد مناقشتها هنا، وهذا أمر على قدر كبير من الأهمية والحساسية وفق في تقديمه أبو القاسم سعد الله.

وعلى صعيد آخر سياسي فإن ملامح تشكيل الدولة الجزائرية كانت في تلك المرحلة التي شهدت وجود العاصمة الحالية، وكذا الحدود السياسية والشكل الجغرافي، وبروز الشخصية الدولية للجزائر في المحافل المختلفة من خلال توقيع معاهدات واتفاقيات وامتلاك الجزائر لأسطول بحري قوي له حضوره في العالم في تلك المرحلة، وهنا يتشابك السياسي والاقتصادي وحتى العسكري في التشكيل الثقافي للأمة الجزائرية، وهذا ما يجعل من اللحظة العثمانية في الجزائر منطلقا تأسيسيا للشخصية الثقافية الجزائرية استثمره أبو القاسم سعد الله، لما وجد فيه من ملامح تأسيسية واضحة يتكئ عليها في تأريخه للثقافة الجزائرية من خلال هذا الكتاب، في أسفاره التسعة التي شملت الحديث عن الثقافة بداية من القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، وحتى فجر الاستقلال؛ حيث ناقش الثقافة في محاورها الكبيرة وقضاياها، التيارات والمؤثرات والمناهج، وأعلامها وأشكالها وفروعها وكذا المؤسسات الثقافية المختلفة الزوايا والمساجد والنوادي والمدارس والجمعيات، وهو في كل هذا يسعى إلى تخليص الثقافة الجزائرية من كل التشوهات النسقية التي انسربت فيها، وأنتجت بعض الرؤى المتناقضة والتصورات المغلوطة والقناعات المزيفة، التي حاولت أن تنكر وجود

<sup>12</sup> مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، ص 124.

شخصية ثقافية للجزائر في العهد العثماني وتفرغ الثقافة من نصوصها الوطنية، وتربط كل ما هو ثقافي في مرحلة أخرى بالهيمنة الامبريالية الفرنسية، وهذا ما أثبت تاريخ الجزائر الثقافي بطالانه وزيفه.

لقد عرض الكتاب لكم هائل من النصوص والشخصيات والقضايا الثقافية بطرح تاريخي أكاديمي حاسم ولغة نقدية صارمة عهدها الدارسون في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله، لا تحابي وتقدم الحقائق التاريخية كما هي دون تعديل أو تحريف، راهن فيها على أجيال قادمة تؤسس وعمها الخاص بالخصوصية الثقافية الجزائرية بعيدا عن سلطة وسطوة الخطاب الكولونيالي، يقول في إهداء الكتاب: "لقد كان المؤلفون في القديم يهدون كتبهم إلى الملوك والأمراء والأعيان والوزراء، أما أنا فإني أهدي هذا الكتاب إلى جيل ما بعد الثورة إلى أطفال الجزائر اليوم الذين سينشرون غدا كنوز الثقافة العربية الاسلامية لبلادهم ويثرونها بإنتاجهم"<sup>13</sup>، هذا الإهداء عتبه نصية بالغة الأهمية في قراءة هذا الكتاب الذي يختزن وعيا كبيرا بالمسألة الثقافية في الجزائر، ويحمل رسالة واضحة مفادها أن تقويض الخطاب الكولونيالي لا يكون إلا عبر تحبير النصوص وإبراز الشخصية الثقافية الجزائرية في أعلامها وأفكارها ونصوصها الكبرى التي هي جزء هام من الذاكرة النضالية والثورية للشعب الجزائري.

خاتمة:

إن كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" لـ "شيخ المؤرخين" الجزائريين "أبو القاسم سعد الله" هو نص وطني جامع في تشكيل ملامح الأمة واسترداد التاريخ والثقافة الوطنية، نستشف فيه مدى حرص علماء الجزائر على تثبيت مركزية الأمة وتقويض الخطاب الامبريالي، عبر تفكيك الصورة النمطية للثقافة الجزائرية التي كرسها قنوات ومؤسسات الهيمنة الكولونيالية، وتقديم الصورة الواقعية بتوثيق الأعلام والقضايا المركزية وإحلال النصوص الوطنية مكانها الملائم، ولذلك فهو يحتاج إلى بذل جهود من طرف الباحثين والمؤسسات الثقافية لإعادة قراءته؛ قراءة ثقافية تأخذ بعين الاعتبار السياقات المتعددة التي واكبت إنتاجه، وتحاول توسيع وجهات النظر فيما طُرح من قضايا هامة داخله من خلال جعله منطلقا وأرضية ثقافية صلبة لمناقشة المسألة الثقافية في الجزائر وتقديم التصورات الوازنة لمستقبل الثقافة في الجزائر.

<sup>13</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص5.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1 1998.
2. أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سورية، ط1، 2007.
3. رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2007.
4. محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2007.
5. محمد عبد المعبود مرسي، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، درا سحر مصر، ط1، (دس).
6. مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، دار حبر للنشر، الجزائر، ط3، 2007.

المجلات:

- 1 نبييل فازيو، مفهوم الأمة عند ناصيف نصار، مجلة المستقبل العربي، ع450، 2016.